رَفْعُ الأعمال الصَّالحة

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(صعود الأقوال ورفع الأعمال)

من الصفحة ٦٥ حتى الصفحة ١١٤

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

ـالمؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

رفعُ الأعْمَال الصَّالِحَة

الكلام على رفع الأَعمال الصالحة يشتمل على أُمور متعددة:

الأول: الكلام على أَوقات الرفع وتعددها.

الثاني: الكلام على واسطة الرفع.

الثالث: الكلام على بعض موانع الرفع.

الرابع: الكلام على وجوه الحِكَمِ في رفع الأَعمال الصالحة وصعود الأَقوال الطيبة.

الكلامُ على أوقاتِ الرَّفعِ وتَعَدّدهَا

جاءَ في الأحاديث الشريفة ما يدلُّ على تعدُّد رفع الأَعمال في أَوقات مختلفة ، ولا تَنافِيَ بينها ، فإن لكل رفع حِكَماً تتعلق به.

فهناك رفع في النهار ورفع في الليل:

كما ورد في (صحيح) مسلم ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس كلمات فقال: «إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أَن ينام ، يخفض القِسْط ويرفعه ، يُرفع إليه عملُ الليل قبل عملِ النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خَلقه».

قال العلامة المُنَاوي رحمه الله تعالى: ومعناه ـ أي: معنى رفع العمل الوارد في هذا الحديث ـ يُرفع إليه عملُ النهار في أَول الليل الذي بعده ، وعملُ الليل في أول النهار الذي بعده ، فإنَّ الحَفَظَة يصعدون بأَعمال الليل بعد انقضائه في أَول النهار ، ويصعدون بأَعمال النهار بعد انقضائه في أَول الليل. اهـ.

وأشار بذلك إلى الحديث الوارد في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَتَعَاقبون فيكم ـ أي: يتناوبون ـ ملائكةٌ بالليل وملائكة

بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يَعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألُهم ربُّهم ـ وهو أَعلم بهم ـ: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون ، وأَتيناهم وهم يصلون».

قال المنذري في (الترغيب): ورواه ابن خزيمة في (صحيحه) ولفظه في إحدى رواياته قال: «تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيجتمعون في صلاة الفجر ، فتصعد ملائكة الليل وتبيت ملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة العصر ، فتصعد ملائكة النهار وتبيت ملائكة الليل ، فيسأَلهم ربهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أَتيناهم وهم يصلُّون ، وتركناهم وهم يصلون ، فاغفرْ لهم يومَ الدين».

فكُنْ أيها المؤمن على علم قاطع بأَنّ معك ملائكةً بالليل وملائكة بالنهار ، يرقُبون أَعمالك ويرفعونها إلى ربِّ العزة والجلال.

الرفع الفوري:

روى الترمذي وأَحمد ، عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه ، أَن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يُصلي أَربعاً بعد أَن تَزول الشمس قبل الظهر ـ أي: قبل فرض الظهر ـ وقال: «إنها ساعة تُفتح فيها أبواب السماءِ فأُحبُّ أن يَصعد لي فيها عمل صالح».

وفي هذا الحديث بيانُ فضل سنة الظهر القبلية.

وعن أبي أيوبَ الأَنْصَاريِّ رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أَربعٌ قبل الظهر ليس فيهنَّ تسليمٌ ؛ تُفتح لهنَّ أبوابُ السماءِ».

قال المنذري: رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه ، وفي إسنادهما احتمال للتحسين ، ورواه الطبراني في (الكبير والأوسط) ولفظه قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليَّ ـ أي: حين هاجر صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ـ رأَيتُه صلى الله عليه وآله وسلم يُديمُ أَرْبَعاً ـ أي: يداوم على صلاة أَربع ركعات ـ قبل الظهر وقال: «إنه إذا زالتِ الشمسُ فُتِحت أبوابُ السماءِ فلا يُغلَق فيها باب حتى تُصَلَّىٰ الظهر ، فأَنا أُحبُّ أَن يُرفع لي في تلك الساعة خير» أي: عمل صالح.

قال عبد الله: فينبغي للمسلم أن يَحرِص كلَّ الحرص على صلاة سنة الظهر القبلية عقب الزوال ، وأن يَغتنم الدعاء في تلك الساعة ، فإنه مجابٌ ، لأَن أبواب السماء تفتح فيها ، ولا ينبغي للمؤمن أن ينشغل عن ذلك في الدنيا وحُطامها الفاني ، ويُضيِّع على نفسه خيرات ودعوات ونفحات وبركات ؛ تنفعه في الحياة وبعد الممات.

الرفع الأسبوعي وعرض الأعمال على الله تبارك وتعالى:

روى الإمام مسلم والترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تُعرضُ الأَعمال على الله تعالى في كل يوم خميس واثنين ، فَيغفر الله تعالى لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً ، إلا مَن كانت بينه وبين أخيه شحناءُ ، فيقول الله تعالى: اتركوا هذين حتى يَصطلحا».

وفي رواية لمسلم: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس ، فيُغْفَر لكل عبدٍ لا يُشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه

شحناءُ» ـ أي: بغضاءُ ـ الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تُعرض الأَعمال يوم الاثنين والخميس فأُحِبُّ أَن يُعرض عملي وأَنا صائم» رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

وعن أُسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: إنك تصوم حتى لا تكاد تفطر، وتفطر حتى لا تكاد تصوم ـ أي: متنفِّلاً ـ إلا يومين إنْ دَخَلا في صيامك[1] وإلا صمتَهما؟

قال: «أَيُّ يومين»؟.

قلت: يوم الاثنين والخميس.

قال: «ذلك يومان تُعرض فيهما الأَعمال على ربِّ العالمين، فأُحبُّ أن يعرض عملي وأنا صائم»[2].

وعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تُعرض الأَعمال يوم الاثنين والخميس، فمِنْ مستغفرٍ أغفرُ له، ومن تائب فأَتوبُ عليه، ويُردُّ أَهلُ الضغائن ـ أي: الحقد والبغض ـ حتى يتوبوا»[3].

ومن هذه الأحاديث الشريفة يعلم المسلم فضل هذين اليومين

---

(١) أي: إنْ وافقا أيام صيامك رمضان أو غيره، وإلا خَصَّصْتهما بالصيام.

(٢) قال المنذري: رواه أبو داود والنسائي وفي إسناده مجهولان، قال: ورواه ابن خزيمة في (صحيحه) عن شرحبيل بن سعد، عن أسامة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوم الاثنين والخميس، ويقول: «إن هذين اليومين تعرض فيهما الأعمال».

(٣) رواه الطبراني ورواته ثقات كما في (ترغيب) المنذري.

الاثنين والخميس ، فلْيباعدِ المسلمُ نفسَه من الحقد والبغض لئلا يحجبا رفعَ أَعماله الصالحة ، ولْيُكْثر فيهما من صالح العمل وطيب الكلام ، فإنّ الأيام لها أحكامها وخصائصها ، وإنها ظروف لما يَجري فيها ، فلا تملأْ ظروف أَيامك أيها العاقل إلا بما يقربك إلى ربك عز وجل ، فسوف يأْتي عليك يوم تفتح هذه الظروف بعدما خُتم عليها عند موتك ، ويظهر ويتدفق جميع ما حوته تلك الظروف من أقوالك وأَعمالك وأَحوالك ، فإنْ كانت طيبةً صالحة فاحتْ روائحها الطيبة وانتشر عَبيقها ، وسُررت بها وفرحت وأمنت واستبشرت ، وإن كانت خبيثة سيئة خَبُثَتْ روائحها وخيَّمت عليك ظلماتها ، وفُضحتَ في ذلك الجمع العظيم ، وحزنت وكربت ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

الرفع السنوي:

روى النسائي بإسناد حسن ، عن أُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: قلتُ: يا رسول الله لمْ أَرَكَ تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ذاك شهرٌ يَغْفُل الناسُ عنه ما بين رجب ورمضانَ ، وهو شهر تُرفع فيه الأَعمال إلى ربِّ العالمين ، فأُحبُّ أَن يُرفع عملي وأَنا صائم».

قال العلامة المُناوي رحمه الله تعالى في (التيسير): وتُعرض الأعمال ليلة النصف من شعبان ، وليلة القدر ، فالأَول ـ أي: فالعرض في كل اثنين وخميس ـ عرضٌ إجمالي باعتبار الأُسبوع ، والثاني ـ أي: ليلة النصف من شعبان وليلة القدر ـ تفصيليٌّ باعتبار

العامِ ، وفائدة تكرير العرضِ إظهارُ شرفِ العاملين في الملكوت ، قال: وأَما عرضها تفصيلاً فترفعها الملائكة بالليل مرة ، وبالنهار أُخرى. ا هـ.

قال عبد الله: ولاشك في أن لكل رفع حِكَماً عالية ، فمنها ما ظهر ، ومنها ما لم يظهر ، ولكن سوف تظهر جميعاً للعباد يوم القيامة ، والله تعالى أعلم بجميع ما هناك.

الكلام على وَاسِطَةِ الرَّفع

الباب الذي يصعد منه العمل الصالح يبكي على صاحبه إذا مات

قال الله تعالى في الكفار بعد موتهم: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ ، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي آتاه الله تعالى البيان عن القرآن ـ بَيّن المراد بهذه الآية:

فقد روى الترمذي وأبو يعلى ، وأبو نعيم ، بروايات متعددة ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مامن عبدٍ إلاّ وله بابان: بابٌ يَصعد منه عمله ، وبابٌ ينزل منه رزقه ، فإذا مات فَقَداه وبكيا عليه» وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

يعني: فما بكت السماءُ والأرض على موت الكافر ، وإنما تبكي الأَرض على موت المؤمن الصالح ، لأَنَّه كان يعمل عليها صالحاً ، وتبكي عليه السماءُ ، لأنه كان يصعد له فيها عمل صالح.

وروى ابن أَبي الدنيا وابن المنذر وغيرهما ، عن أَمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، أنه قال: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلاَّه

من الأَرض ، ومَصعدُ عمله من السماءِ ، ثم قرأَ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: فما بكت على الكفار بعد موتهم.

وقد نقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد أنه كان يقال: تبكي الأَرض على المؤمن أربعين صباحاً.

وروى عبد بن حميد وأبو الشيخ في (العظمة) عن مجاهد رحمه الله أَنه قال: ما مات مؤمن إلا وبكت عليه السماءُ والأَرض أربعين صباحاً.

فقيل له: أَتبكي؟

فقال: أتعجبون؟! وما للأَرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه دويٌّ كدويِّ النحل. اهـ.

وروى ابن جرير وابن المنذر، والبيهقي في (شُعب الإيمان) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ هل تبكي السماء والأَرض على أحد؟

فقال: (نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له بابٌ في السماء ينزل منه رزقه، وبابٌ يصعد فيه عمله، فإذا مات المؤمن فأُغلِق بابه من السماءِ فَقَده؛ فبكى عليه، وإذا فَقَده مُصَلَّاهُ من الأَرْض التي كان يصلي فيها ويذكر الله تعالى فيها؛ بكت عليه، وإنّ قوم فرعون لم يكن لهم في الأَرضَ آثار صالحة، ولم يكن يَصعد إلى الله منهم خير، فلم تبكِ عليهم السماء والأرض) كما في (الدر المنثور) وغيره.

وروى أَبو داود الطيالسي ، عن أَبي موسى الأَشعري رضي الله عنه قال: (تَخرج روح المؤمن أَطيبَ من ريح المسك ، فتنطلق بها الملائكة من دون السماءِ ، فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان ، كان يعمل كَيْتَ وكَيْتَ ـ لمحاسن عمله ـ فيقولون: مرحباً بكم وبه ، فيقبِضونها منهم ، فيُصعَد بها مِنَ الباب الذي كان يَصعد منه عمله ، فتشرق في السموات ولها ـ أي: للروح ـ بُرهان ـ أي: نور ـ كبرهان الشمس ، حتى يُنتهىٰ بها إلى العرش.

وأَما الكافر فإِذا قُبض انطلِق بروحه ، فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان ، كان يعمل كَيْتَ وكَيْتَ ـ لمساوىء عمله ـ فيقولون: لا مرحباً ، رُدُّوه ، فيردُّ إلى أَسفل الأَرض: إلى الثَّرَى)[1].

وإنما تبكي الأَرض على العبد الذي يذكر الله تعالى وَيُسَبِّحه ويحمده على ظهرها ، لأَنها كانت تفرح بذلك وتستبشر ، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو الشيخ وغيره ، عن أَنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنه قال: «مامن بُقْعَةٍ يُذْكَرُ اسم اللهِ فيها إلا استبشرتْ بذكر الله تعالى إلى منتهاها من سبع أَرَضين ، وإلا فَخَرَتْ على ما حولها من بقاع الأَرض ، وإن المؤمن إذا أَراد الصلاةَ من الأَرض تزخرفتْ له الأَرْض».

وعن أَنس رضي الله عنه مرفوعاً: «مامن صباحٍ ولا رواح إلاّ وبقاع الأَرض ينادي بعضُها بعضاً: يا جارةُ هَل مرّ بكِ اليومَ عبدٌ

---

(١) انظر كتاب (الروح) للعلامة ابن القيم.

صالحٌ صَلَّىٰ عليكِ ، أَو ذكر الله تعالى؟ فإنْ قالتْ: نعم ، رأتْ أَن لها بذلك فضلاً»[1].

فكل مؤمن له أَنوار إيمانية ، وبركات من قرباته وطاعته ، تَدرُّ عليه من العزيز الغفار ، وعلى بقعته ومكان عبادته ، فإذا فَقَدت السموات والأَرض أَنوار تلك الطاعات الصاعدة إلى الله تعالى ، وافتقدت تلك الرحمات والبركات النازلة بسبب عباداته وطاعاته: بكتِ السماءُ وبكتِ الأَرض أَسىً وحزناً ، لأن السموات والأرض يعتريها التأثر مما يعمل العباد على وجه الأرض، فإنهما يعتريهما الفرح والسرور والاستبشار بما يَعمل في الأَرض من الطاعات والعبادات والقربات ، ويعتريهما الغضب والتغيظ من الكفر والفسوق والعصيان.

قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾.

فقد أَثبت الله تعالى للأرض غَضَباً وتغيُّظاً شديداً على مَن نَسَبَ لله تعالى الولد ، كما أَثبت سبحانه للأَرض أداءَ الشهادة والتحدُّثَ يوم القيامة بما عُمل على ظهرها في الدنيا من خير وشر ، ومِنْ طاعة ومعصية ، قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾.

---

(١) رواه الطبراني في (الأوسط) وأبو نعيم في (الحلية).

وقد بيَّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما جاءَ في (سنن) الترمذي ، عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أَتدرون ما أَخْبَارُها»؟.

قالوا: اللهُ ورسوله أعلم.

قال: «هو أَن تشهد على كل عبد وأَمَةٍ بما عَمِل على ظهرها ، تقول: عَمِلْتَ يوم كذا: كذا وكذا ، فهذه أخبارها» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب ، ورواه أحمد والنسائي.

وروى الطبراني عن ربيعة الحبشي ، أَن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تَحَفَّظوا من الأَرض فإنها أُمّكم ، وإنه ليس من أَحدٍ عاملٍ عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة عنه».

فما أَخبرنا الله تعالى عنه في القرآن الكريم من أَن الأَرض لا تبكي على موت الكفار على ظهرها ، بل تبكي على موت الصالحين الذين كانوا يعبدون الله تعالى ، ويعملون الصالحات على ظهرها ، وأَنَّ الأرض تغضب ؛ وتكادُ تنشقُّ من غيظها على من دعا للرحمن ولداً ، وأَن الأرض تشهد على العاملين على ظهرها يوم القيامة ، وَتُخبر عما جرى عليها ، لأن الله تعالى أمرها بذلك ، فإن جميع هذه الأَخبار القرآنية هي حقٌّ وحقيقة واقعية ، فلا تُنْكِرْ شيئاً من ذلك ، ولا تظنَّ أَنها من باب ضرب المثال أَو نوع من الخيال ، بل جميع ذلك محقَّقُ الوقوع بلا ريب ، لأن الله تعالى يخبر عن الحق والحقيقة ، قال سبحانه: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾.

الكلامُ على بَعْضِ مَوَانعِ رَفْعِ العَمَلِ الصَّالحِ

روى الإمام أَحمد في (مسنده) عن أَنس رضي الله عنه ، أَن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذُ بك من قول لا يُسمع، وعمل لا يُرفع ، وقلب لا يَخشع ، وعلم لا يَنفع».

فالعمل الذي لا يُرفعُ يُستعاذ منه ، لأَن عدمَ رفعه دليلُ عدمِ قبوله أَو تمامه.

روى البزار والطبراني ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا توضأَ العبدُ فأَحسنَ الوضوءَ ، ثم قام إلى الصلاة فأتمّ ركوعها وسجودها والقراءةَ فيها ، قالت: حفظكَ الله كما حفظتَني ، ثم صُعِد بها إلى السماء ولها ضَوءٌ ونور ، وفتحت لها أَبواب السماء.

وإذا لم يحسنِ العبد الوضوءَ ، ولم يتمّ الركوع والسجود والقراءَة قالت: ضيعكَ الله كما ضَيَّعْتَنِيْ ، ثم صُعِد بها إلى السماءِ وعليها ظلمة ، وغلِّقت أبواب السماء ، ثم تلفُّ كما يُلَفُّ الثوب الخَلَق ، ثم يُضرب بها وجه صاحبها»[1].

وقد جاءَ في الأَحاديث الشريفة بيان ما يَمنع رفع العمل ومن ذلك:

---

(١) انظر (الدر المنثور) ١: ٢٩٦ ، وهذه رواية البزار ، أما لفظ الطبراني فسيأتي إن شاء الله تعالى.

الرياء في العمل ، فإنه يمنع رفعه إلى الله تعالى:

روى الطبراني ، عن أَنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان آخر الزمان صارت أُمتي ثلاثَ فِرَق ، فرقة يعبدون الله خالصاً ، وفرقة يعبدون الله رياءً ، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس.

فإذا جمعهم الله تعالى يوم القيامة ، قال للذي يستأْكل الناس: بعزتي وجلالي ما أَردتَ بعبادتي؟

فيقول: وعزتك وجلالك أَستأْكل به الناس.

قال ـ سبحانه ـ: لم ينفعْك ما جمعت ، انطلقوا به إلى النار.

ثم يقول للذي كان يعبده رياءً: بعزتي وجلالي ما أَردت بعبادتي؟

قال: بعزتك وجلالك رياءَ الناس.

قال ـ سبحانه ـ: لم يصعد إليَّ منه شيءٌ ، انطلقوا به إلى النار.

ثم يقول للذي كان يعبده خالصاً: بعزتي وجلالي ما أَردت بعبادتي؟

فقال: بعزتك وجلالك أَنتَ أعلم بذلك مَنْ أَردتُ به ، أَردتُ به ذكرك ووجهك.

قال ـ سبحانه ـ: صدق عبدي انطلقوا به إلى الجنة»[1].

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في (الأوسط) من رواية عبيد بن إسحاق العطار ، وبقية رواته ثقات ، ورواه البيهقي عن مولى أنس رضي الله عنه ولم يسمه.

ومما يمنع رفع العمل إلى الله تعالى: قطيعةُ الرحم ، وعصيانُ المرأَة زوجَها ، والرجل يؤمُّ القومَ وهم له كارهون وغير ذلك:

روى الإمام أَحمد بسند جيد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة لا تُرفع صلاتهم فوق رؤوسهم شِبراً: رجلٌ أَمَّ قوماً وهم له كارهون، وامرأَةٌ باتت وزوجها عليها ساخطٌ، وأَخوان متصارمان» أي: متقاطعان ومتهاجران.

قال المنذري: ورواه ابن حبان في (صحيحه) ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يَقبل الله منهم صلاة: إمامُ قومٍ وهم له كارهون ، وامرأَة باتت وزوجها عليها غضبان ، وأَخوانِ متصارمان».

ومن هذه الرواية يُفهم أن عدم رفع العمل سببه عدم القبول الكامل ، فإن روايات الحديث تفسِّر بعضَها بعضاً.

وروى الترمذي عن أَبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا تُجاوز صلاتهم آذانَهم ـ أي: لا ترفع إلى السماء ـ: العبدُ الآبِق حتى يرجع ، وامرأَة باتت وزوجها عليها ساخط ، وإمامُ قومٍ وهم له كارهون».

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة لا يُقبلُ لهم صلاة ، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبدُ الآبق حتى يَرجع إلى مواليه ، والمرأَةُ الساخط عليها زوجها حتى يرضىٰ ، والسكران حتى يَصحو»[1].

---

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان ، والبيهقي كما في (الفتح الكبير).

وعن عطاءِ بن دينار الهذلي رضي الله عنه ، أَنْ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة لا يُقبل منهم صلاة ، ولا تَصْعد إلى السماء ، ولا تُجاوز رؤوسهم: رجل أَمَّ قوماً وهم له كارهون ، ورجل صلَّى على جنازة ولم يؤمر ـ أي: من جانب وليِّ الميت ـ وامرأَة دعاها زوجها في الليل فأَبت عليه»[1].

الكلامُ على وُجُوهِ الحِكم
في رَفْعِ الأَعْمَالِ إلى الله تعالى

إنّ في صعود الكلم الطيب ورفع الأَعمال الصالحة ـ كما أخبر الله تعالى ـ حِكَماً عظيمة ، ومنافعَ لصاحبها جسيمة ؛ وقد جاءَ بيان ذلك في كثير من الآيات القرآنية والأَحاديث النبوية ، يعلم ذلك من تدبَّر وتبصَّر ، وذلك مما ينبغي للمؤمن أن يطلع عليه ويسعى إليه ، لِتَقْوَى عزيمتُه ، وتنشط همته ، فيسارعَ إلى الأَعمال الصالحة ، فإِن مَن أَيقن برِبح التجارة بكَّر مسرعاً إليها دون كسل ولا ملل ، وقد ذكرتُ جوانبَ من حكمةِ رفع الأَعمال ظاهرةً صريحةً من الآيات القرآنية والأَحاديث النبوية ، تُنبِّه الغافل وتنهض بهمة العاقل.

الحكمة الأولى: إن الأَقوال الطيبة والأَعمال الصالحة تُرفع لتَشْفعَ بصاحبها عند الله تعالى : كما تقدم في الحديث ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) قال المنذري: رواه ابن خزيمة في (صحيحه) هكذا مرسلاً ، وَرَوَىٰ له سند آخر إلى أنس رضي الله عنه يرفعه. ا هـ.

وسلم: «إن مما تَذْكرون من جلال الله التسبيحَ والتهليل والتحميد، يَنْعَطِفْنَ حول العرش يذكِّرنَ بصاحبهنَّ..» أي: يشفعن بصاحبهن. الحديث كما تقدم برواية ابن ماجه وغيره.

فهذا الكَلِمُ الطيب له شفاعة بصاحبه، **وإن أَطيب الكلام كلام الله تعالى، فله شفاعة بالقارئ في الدنيا والبرزخ والآخرة.**

وقد وردت الأَحاديث في قارىءِ سورة المُلك ـ تبارك ـ أنها تشفع بصاحبها في قبره:

فعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إنّ سورةً من القرآن ثلاثون آيةً، شَفَعَتْ لرجل حتى غَفَر الله له، وهي تبارك الذي بيده المُلك»[1].

وروى ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في سورة تبارك: «هي المانعة، هي المُنْجِية، تُنْجيه من عذاب القبر».

وقد روى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنه قال في آية الكرسي: «والذي نفسي بيده، إنَّ لِهذه الآية لساناً وشفتين تقدِّس المَلِكَ عند ساق العرش».

وإن الكلمة الطيبة التي هي مصدر الطِّيب كلِّه، هي لا إلَه إلا الله، لها شفاعة بقائلها عند الله تعالى:

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه واللفظ له، والنسائي وابن ماجه، وابن حبان في (صحيحه) والحاكم وقال: صحيح الإسناد. اهـ من (ترغيب) المنذري.

روى الترمذي وحسَّنه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما قال عبد لا إلَه إلا الله قطُّ مخلصاً إلاَّ فُتحت لها أَبواب السماء حتى تُفضي ـ أي: تنتهي ـ إلى العرش ما اجتُنِبَت الكبائر».

وروى البزار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله تبارك وتعالى عموداً من نور بين يدي العرش ، فإذا قال العبد لا إلَه إلا الله: اهتزَّ ذلك العمود.

فيقول الله تبارك وتعالى: اسكُنْ.

فيقول: كيف أَسْكُنُ ولم تغْفر لقائلها.

فيقول الله تعالى: إني قد غفرت له ، فيسكن عند ذلك»[1].

فهذه الأَحاديث تدل على أن للكلم الطيب والأعمال الصالحة شفاعةً بصاحبها في الدنيا ، كما أن لها شفاعة في الآخرة.

وقد روى ابن أبي شيبة ـ الحديث السابق ـ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه بلفظ: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الذين يذكرون من جلال الله: من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله ، يتَعاطَفْنَ حول العرش ، لهنَّ دويٌّ كدويِّ النحل ، يذكِّرنَ بصاحبهن ، أَوَلا يُحبُّ أَحدُكم أن لا يزال عند الرحمن شيءٌ يذكِّر به»[2].

---

(١) انظر (ترغيب) المنذري.

(٢) انظر (الدر المنثور) ٤: ٢٢٥ ورواه ابن حبان في (صحيحه) والإمام أحمد في (مسنده).

وروى الطبراني عن عبادةِ بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا حافظ العبد على صلاته ، فأقام وُضوءَها وركوعها وسجودها ، والقراءة فيها قالت له: حفظك الله كما حفظتَني ، وصُعِد بها إلى السماءِ ولها نور تنتهي إلى الله عز وجل ، فتشفع لصاحبها»[1] . الحديث.

الحكمة الثانية: ومن الحكمة في رفع الكلم الطيب والعمل الصالح: هي مباهاة رب العزة ملائكتَه بتلك الأَعمال والأَقوال الطيبة ، فقد وردت مباهاة الحق بأَعمال الصالحين وأَقوالهم الطيبة في أَحاديث متعددة:

فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم وغيره ، أَن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حَلْقة من أَصحابه فقال: «ما أَجْلَسَكم»؟

قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ، ونحمده على ما هدانا للإسلام وَمَنَّ به علينا ـ أي: يتحدثون بنعمة الإسلام ويشكرون الله تعالى ـ.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «آللهِ ما أَجلسكم إلا ذلك»؟

قالوا: آللهِ ما أَجلسنا إلا ذلك.

فقال: «أما إني لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لكم ، ولكنه أَتاني جبرائيل فأَخبرني أن الله عز وجل يُباهي بكم الملائكة».

ومن ذلك مباهاة رب العزة بصُوَّام رمضان وقُوّامه:

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أَن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوماً وقد حضر رمضان: «أَتاكم رمضانُ شهرُ

---

(١) انظر (جامع العلوم والحكم) للحافظ ابن رجب الحنبلي.

بركة ، يغشاكم الله تعالى فيه ـ أي: يتغشاكم بالرحمة والبركة منه ـ فينزِّلُ الرحمة ، ويَحُطُّ الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاءَ ، وينظر الله تعالى إلى تنافُسِكم ، ويباهي بكم ملائكته ، فأَرُوا الله مِن أنفسكم خيراً ، فإنَّ الشقي من حُرم فيه رحمةَ الله عز وجل»[1].

ومن ذلك مباهاة رب العزة بأهل عرفات:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله تعالى يباهي بأَهل عرفات ملائكة السماءِ ، فيقول: انظُروا إلى عبادي هؤلاء جاؤُوني شُعْثاً غُبْراً»[2].

ومن ذلك مباهاة رب العزة بِقُـوّام الليل:

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الرجل من أُمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطُّهور ـ أي: الوضوءَ ـ وعليه عُقَد ، فإذا وضَّأَ يديه انحلت عقدة ، وإذا وضَّأَ وجهه انحلت عقدة ، وإذا مسح رأْسه انحلت عقدة ، وإذا وضَّأَ رجليه انحلت عقدة ، فيقول الله عز وجل للذين وراءَ الحجاب ـ أي: الملائكة كما جاءَ في رواية أُخرى ـ: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه يسأَلني ، ما سأَلني عبدي هذا فهو له»[3].

---

(١) قال المنذري: رواه الطبراني ورواته ثقات إلا أنَّ محمد بن قيس لم أقف فيه على جرح ولا تعديل. ا هـ.

(٢) قال المنذري في (ترغيبه): رواه أحمد وابن حبان في (صحيحه) والحاكم وقال: صحيح على شرطهما. ا هـ.

(٣) قال المنذري في (ترغيبه): رواه أحمد وابن حبان في (صحيحه) واللفظ له. ا هـ.

ومن ذلك مباهاة رب العزة بأصوات الأَذان والتكبير والتلبية:

رُوِيَ عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ثلاثة أَصوات يباهي الله بهن الملائكة: الأَذان، والتكبير في سبيل الله، ورفع الصوت بالتلبية»[1].

ومن ذلك مباهاة رب العزة بالذين يحمدون الله تعالى ويذكرونه ويَدْعُوْنه:

عن معاوية رضي الله عنه، أَن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حَلْقة من أَصحابه فقال: «ما أَجْلَسَكم»؟

قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، وَمَنَّ به علينا.

قال: «آللهِ ما أَجلسكم إلا ذلك»؟

قالوا: آللهِ ما أَجلسنا إلا ذلك.

قال: «أما إني لم أستحلفكم تُـهْمَـةً لكم، ولكنـه أتاني جبريل فأَخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»[2] وتقدم الحديث.

وعن أَنس رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا لقي الرجلَ من أَصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: تعالَ نؤْمنْ بربنا ساعة.

فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاءَ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أَلا ترى إلى ابن رواحة

---

(١) رواه ابن النجار والديلمي في (الفردوس)، كما في (الجامع الصغير).
(٢) رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

يَرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يَرحم الله ابنَ رواحةَ إنه يُحبُّ المجالس التي تتباهىٰ بها الملائكة»[1].

وروى مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ لله تبارك وتعالى ملائكةً سَيّارةً فُضلاءَ، يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مَجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحَفَّ بعضُهم بعضاً بأَجنحتهم حتى يملأُوا ما بينهم وبين السماءِ، فإذا تفرقوا ـ أي: الذاكرون ـ عرجوا ـ أي: الملائكة ـ وصَعِدوا إلى السماء».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فيسأَلهم الله عز وجل ـ وهو أعلم، يعني: أنَّ سؤاله سبحانه ليس استعلاماً، لأَنه أَعلم بكل شيء؛ ولكنه سؤال مدح ومباهاة ـ فيقول: من أَين جئتم؟

فيقولون: من عند عبادك من الأَرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسأَلونك؟

قال: فما يسأَلوني؟

قالوا: يسألونك جنتك.

قال: وهل رأَوا جنتي؟

قالوا: لا يا رب.

قال: وكيف لو رأَوا جنتي؟

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن، كما في (ترغيب) المنذري.

قالوا: ويستجيرونك.

قال: وممَّ يستجيروني؟

قالوا: من نارك يا رب.

قال: وهل رأوا ناري؟

قالوا: لا يا رب.

قال: فكيف لو رأوا ناري؟

قالوا: ويستغفرونك؛ قال: قد غفرت لهم، وأَعطيتهم ما سأَلوا، وأَجرْتُهم مما استجاروا». قال: «يقولون ـ أي: الملائكة تقول ـ: يا رب فيهم فلان عبد خَطَّاءٌ، إنما مَرّ فجلس معهم» ـ لحاجة له لا للذكر ـ.

قال: «فيقول: وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» وقد روى البخاري هذا الحديث أَطولَ من ذلك.

فالله تعالى يباهي ملائكته بعباده المسبِّحين الحامدين المهلِّلين، والمستغفرين والسائلين.

روى البزار عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله سيَّارةً من الملائكة يطلبون حِلَق الذِّكر، فإذا أَتوا عليهم حَفُّوا بهم، ثم يقفون وأيْدِيَهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون: ربنا أَتينا على عبادٍ من عبادك يُعظِّمون آلاءَك، ويتلون كتابك، وَيُصَلُّون على نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويسأَلونك لآخرتهم ودنياهم.

فيقول الله تبارك وتعالى: غَشُّوهم رحمتي، فهمُ الجُلَساءِ لا يَشقى بهم جليسُهم»[1].

وروى الطبراني في (المعجم الصغير) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعبد الله بن رواحة رضي الله عنه وهو يُذكِّر أَصحابه ـ يعني: يذكرهم بالله تعالى وبأيام الله تعالى وبالآخرة ـ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما إنكم الملأُ الذين أَمرني الله تعالى أَنْ أصبرَ نفسي معكم» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ إلى قوله ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

«أما إنّه ما جلس عِدَّتُكُم إلا جلس معهم عِدَّتُهُم من الملائكة، إنْ سبَّحوا الله تعالى سَبَّحُوه، وإنْ حَمِدوا الله تعالى حمدوه، وإن كَبروا الله تعالى كبروه، ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه ـ وهو أَعلم بهم ـ فيقولون: يا ربنا عبادك سبحوك فسبَّحْنا، وكبروك فكبرنا، وحَمِدوك فحمدنا.

فيقول ربنا جل جلاله: يا ملائكتي أُشهدُكم أَني قد غفرت لهم.

فيقولون: فيهم فلان وفلان الخَطَّاءُ.

فيقول: هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم».

ومن ذلك مباهاة رب العزة بالذين ينتظرون الصلاة بعد الصلاة:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلينا مع رسول الله

---

(١) انظر (ترغيب) المنذري.

صلى الله عليه وآله وسلم المغرب ، فَرَجع مَنْ رجع ، وعقَّب مَنْ عقَّب ـ أي: وجلس من جلس ينتظر الصلاة الأخرى ـ فجاءَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسرعاً قد حَفَزَه النَّفَس ، فقال: «أَبشِروا ، هذا ربكم قد فتح باباً من أَبواب السماءِ يباهي بكم الملائكة يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضةً وهم ينتظرون أُخرى»[1].

ومن ذلك مباهاته سبحانه بالمُطْعِمين الطعام:

رُوي عن جعفر العبديِّ والحسن قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عز وجل يباهي ملائكته بالذين يطعمون الطعام من عبيده»[2].

الحكمة الثالثة: في رفع الأَعمال والكلم الطيب هي: أَن يُـذْكَر أَصحاب الأَعمال والأَقوال الطيبة بالمدح والثناءِ عليهم في الملإِ الأَعلى ، وفي ذلك إعلان بِـرِفعة شأْنهم وعلوِّ مقامهم:

روى الإمام مسلم، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعـالى ، يَـتْلون كتابَ الله تعالى ، وَيتَدارسونـه بينهـم: إلا نزلتْ عليهم السكينة ، وغَشِيَتْهم الرحمة ، وذَكَرَهم الله فيمن عنده. . . .» الحديث.

---

(١) قال في (الترغيب): رواه ابن ماجه. ا هـ ، وقال البوصيري في (زوائد ابن ماجه): إسناده صحيح ورجاله ثقات. ا هـ. كما في (الفتح الرباني) قلت: رواه الإمام أحمد في (مسنده) من طريقين.

(٢) رواه أبو الشيخ في (الثواب) مرسلاً ، كما في (ترغيب) المنذري.

الحكمة الرابعة: تُرفع الأَقوال وَالأَعمال الصالحة لِتُسجلَ في الدواوين العالية ، وليشهدَها المقربون في تلك العوالم العلوية ، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ، فكتاب الأَبرار وما حواه من عمل الأَبرار في عليين ، وهو عَلَم لديوان الخير الذي دُوِّن فيه كل ما عملته الأَبرار وصلحاء الثقلين ، وهو اسم منقول من جمع عِلِّيّ ، على وزن فِعِّيل من العلو ـ أي: العالي جداً ـ أبلغ من العالي.

واختلف في المراد به:

فقال قتادة: عليون: قائمة العرش اليُمْنى.

روى عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ قال: عِلِّيُّوْن: فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ قال: رقم لهم بخير ، ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال: يَشهده المقربون من ملائكة الله تعالى.

وورد نحو ذلك عن مجاهد وغيره.

وقال بعض التابعين: عليون عند سدرة المنتهى ـ أي: لأنها تنتهي إليها أَعمال العباد ـ.

وقال بعضهم: عليون: أي: السماء السابعة.

روى ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال: هُم مقربو أَهلِ كل سماءٍ ، إذا مرّ بهم عمل المؤمن شيَّعه مقربو أهل كل سماءٍ ، حتى ينتهي العمل إلى السماء السابعة ،

فيشهدون حتى يثبت في السماء السابعة.

والظاهر أن عليين تشمل ذلك كلَّه ، لأَنه مأْخوذ من العلو ، وكلما علا الشيءُ وارتفع ، عَظُم واتسع ، ولهذا قال تعالى معظِّماً أَمرَه ومفخِّماً شأْنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشهده المقربون في تلك العوالم العلوية.

ومعنى يشهده المقربون: أي: يحضرونه ـ من الشهود بمعنى الحضور ـ وفي ذلك دليل على حفاوة المقربين واحتفالهم بأَعمال الأَبرار ، وفرحتهم واغتباطهم بذلك ، أو هو مأْخوذ من الشهادة بمعنى: أَنهم يشهدون بما فيه يوم القيامة ـ ولا تَنافي بين القولين ، والكلُّ واقع.

روى الطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «تُنْسَخُ دواوين أَهلِ الأَرضِ في دواوين أَهل السماءِ في كل اثنين وخميس ، فيغفر الله عز وجل لكل مسلم لا يشرك بالله شيئاً ؛ إلا رجلٌ بينه وبين أخيه شَحْناءُ»[1].

فهذا الحديث دليل واضح على أن ثَمة عدةَ دواوين ، فهناك دواوين في جميع العوالم العلوية: عالم السماوات ، وعالم السِّدْرة ، وعالم العرش ، والديوان الأَكبر هو في عالم العرش ، ولذلك جاء النبأُ في الآية الكريمة: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ ، ولم يقل في عِلِّيّ ، وقد تقدم كلام التابعين في ذلك.

---

(١) انظر: (ترغيب) المنذري كتاب الصيام ، وقال الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد): رواه الطبراني في (الأوسط) ورجاله ثقات.

وروى البيهقي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من سمع المؤذن يؤذن فقال كما يقول ، ثم قال: رضيتُ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيّاً ، وبالقرآن إماماً ، وبالكعبة قِبلةً ، أَشهد أَن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، وأَشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اكتب شهادتي هذه في عليين ، وأَشهِدْ عليها ملائكتك المقربين ، وأنبياءَك والمرسلين ، وعبادك الصالحين ، واختم عليها بآمين ، واجعلها لي عندك عهداً توفِّينيه يوم القيامة ، إنَّك لا تخلف الميعاد ، بَدَرَتْ له بطاقةٌ من تحت العرش فيها أَمانة من النار».

وروى أبو داود ، عن أبي أُمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ خرج من بيته ـ أي: إلى المسجد ـ مُتطهِّراً إلى صلاةٍ مكتوبة ـ أي: صلاة مفروضة ـ فأَجْرُه كأَجْرِ الحاجِّ المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا يُنْصِبُه إلا إياه فأَجْره كأَجْر المعتمر ، وصلاةٌ على إثْر صلاة لا لغوَ بينهما كتابٌ في عليين».

والمراد بتسبيح الضحى: صلاة الضحى.

ومعنى لا يُنْصِبُـهُ إلا إياه: أي: لا يحركه ويتعبه في هذا الخروج من بيته إلى المسجد إلا نيةُ الصلاة في المسجد خالصةً لله تعالى.

الحكمة الخامسة: إعلام حَمَلة العرش ومَن حوله مِنَ الملإ الأَعلى ليدعوا ربهم لأُولئك المؤمنين الصالحين ، ويستغفروا لهم ، ويطلبوا لهم ولأُصولهم ولفروعهم ، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ أي: طريقَ العملِ الصالح والكلم الطيب فإنه السبيلُ الموصل إليك ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ آمين. اللهم اجعلنا منهم.

فقد أخبر سبحانه عن حَملة العرش وَمَنْ حَوله وهم أهل الملإ الأَعلى: أن لهم وظائفَ متعددة من التسبيح والتحميد، وأنَّ مِنْ وظائفهم استغفارَهم للمذنبين التائبين حيث يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ أي: صراطَ شرعك الذي أقمتَه لهم، وأَمرتهم أن يتبعوه، ويمشوا على منهاجه القويم في أَعمالهم وأَقوالهم.

فقد رُفعتْ أَعمالهم وتوبتهم وأَقوالهم هناك، واطَّلع عليها الملأُ الأَعلى ـ حملةُ العرش ومن حوله ـ فراحوا يستغفرون لهم ويدعون لهم بالمغفرة، وأن يَقِيَهم الله تعالى عذاب الجحيم، وأنْ يدخلهم جنات النعيم، ويتم النعمة عليهم، والنعيم لهم، فيُلْحِقَ بهم من صَلَح من آبائِهم وأَزواجهم وذرياتهم، وأن يَقِيَهم الله تعالى ويحفظهم من السيئات في الدنيا والآخرة، فلا يسوءُ لهم الحال، ولا تخيب لهم الآمال، جعلنا الله تعالى منهم بفضله وكرمه.

الحكمة السادسة: هي وضع المقابلات والمكافآت لتلك الأَعمال والأَقوال الطيبة، وتنزيلُها منازلَها، وإعطاؤها أجزيتَها من الدرجات والكفارات، وهناك تُعرض على الدائرة العليا في الملإ

الأَعلى ، ويجرِي النظر من الملإِ الأَعلى فيها ، وربما اختلفوا واختصموا في ذلك بينهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: ما كان له صلى الله عليه وآله وسلم من علم باختصام الملإِ الأَعلى ، وما يجري بينهم من التقاول في قضية آدم عليه السلام ، وقضية اعتبارات أَعمال بني آدم من الكفارات والدرجات ، وتنزيلها منازلها ، وإعطائها مستَحَقاتها ومكافآتها ، لم يكن عنده صلى الله عليه وآله وسلم علم بجميع ذلك قبل أَن يُـنَبأَ وينزل عليه القرآن الكريم ، لأَنه صلى الله عليه وآله وسلم كان أُمياً لم يقرأ الكتب الماضية ، ولم يَسمعها من أَهلها ، فَمِنْ أين جاءَ بهذه العلوم الوافرة الكثيرة التي من جملتها العلم بالملإِ الأَعلى إذ يختصمون.

إذن إنه رسول الله تعالى حقاً ، أَوحى الله تعالى إليه وعلَّمه ذلك كلَّه بلا ريب ، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجه اختصام الملإِ الأَعلى ، وفِيمَ يختصمون ، بيَّن ذلك كما علمه الله تعالى:

فقد روى الترمذي بإسناده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَتاني الليلةَ ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ـ قال أي: الراوي: أحسَبه قال: في المنام ـ فقال: يا محمد هل تَدري فيمَ يختصمُ الملأُ الأَعلى؟

قلتُ: لا.

قال: فوضع يده بين كتفيَّ حتى وجدتُ بَـرْدَها بين ثَدْيَيَّ[1] ـ أو قال: «في نحري» ـ فعلمت ما في السماوات وما في الأرض.

قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأُ الأَعلى؟

قلت: نعم في الكفارات، والكفارات: المكث في المسجد بعد الصلاة، والمشي على الأَقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوءِ في المكاره[2]، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أُمه[3].

فقال: يا محمد إذا صليت فقل: اللهم إني أَسأَلك فعلَ الخيرات[4] وتَرْك المنكرات[5]، وحبَّ المساكين، وإذا أَردتَ بعبادك فتنة[6] فاقْبِضْني إليك غيرَ مفتون.

قال: والدرجات: إفشاءُ السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام».

ثم أَورد الحديث من طريق أُخرى، عن ابن عباس رضي الله

---

(١) بالتثنية أو بالإضافة إلى ياء المتكلم ـ أي: قلبي وصدري ـ.
(٢) أي: في الحالات التي تكره وتستثقل النفس فيها الوضوء، كالوضوء في شدة البرد ونحوه.
(٣) أي: كان طاهراً من ذنوبه كطهارة المولود يوم ولادته.
(٤) أي: القربات الشرعية المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
(٥) وهي المنكرة شرعاً من الأقوال القبيحة والأفعال السيئة.
(٦) أي: ضلالة أو عقوبة دنيوية.

عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أَتاني ربي في أَحسن صورة فقال: يا محمد.

فقلت: لبيك ربي وسعديك.

قال: فيم يختصمُ الملأُ الأعلى؟

قلت: ربِّ لا أَدري ، فوضع يده بين كتفيَّ حتى وجدتُ بَرْدَها بين ثَدْيَيَّ: فعلمت ما بين المشرق والمغرب.

فقال: يا محمد.

فقلت: لبيك وسعديك.

قال: فيم يختصم الملأُ الأَعلى؟

قلت: في الدرجات والكفارات ، وفي نقل الأَقْدَام إلى الجُمعات ، وإسباغ الوضوءِ في المكروهات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، ومن يُحافظ عليهن : عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من ذنوبه كيومَ ولدته أُمه».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قال: وفي الباب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عايش ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الترمذي: وقد رُوِيَ هذا الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطوله ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني نَعَسْتُ فاستثقلت نوماً ، فرأَيت ربي في أحسن صورة ـ أي: صفة ـ قال: فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى..».

ثم أَسند إلى عبد الرحمن بن عايش الحضرمي ، عن مالك بن

يَخامِر السَّكْسكي ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احْتَبَسَ[1] عَنَّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ غَداة في صلاة[2] الصُّبح حتى كِدْنا نتراءَى الشمس ، فخرج سريعاً فثوَّب بالصَّلاة ، فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجوَّز[3] في صلاته ، فلما سلَّم دعا[4] بصوته فقال لنا: «على مصافِّكم كما أَنتم» ثم انتقل إلينا[5] فقال «أما[6] إني سأُحدِّثُكم ما حَبسني عنكم الغداةَ ، إني قمتُ من الليل فتوضأْت فصلَّيت ما قُدِّر لي ، فنَعَسْت في صلاتي ، فاستثقلت[7] ، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أَحسن صورة ـ أي: صفة ـ فقال: يا محمد.

قلت: رب لبيك.

قال: فِيمَ يختصمُ الملأُ الأَعلى؟

قلت: لا أَدري ربِّ. قالها[8] ثلاثاً.

قال: فرأَيته وضع كفَّه بين كتفيَّ ، وقد وجدت بَـرْدَ أَنَامِلِه بين

---

(١) قال في (تحفة الأحوذي): بصيغة المعلوم ، وروي مجهولاً. اهـ.

(٢) كذا في النسخ الموجودة ، وفي رواية أحمد عن صلاة الصبح. اهـ ، كما في (تحفة الأحوذي).

(٣) أي: خفف فيها واختصر على خلاف عادته.

(٤) أي: نادى.

(٥) أي: أقبل علينا.

(٦) بالتخفيف وهي أداة تنبيه.

(٧) بصيغة المعلوم أو المجهول ، أي: غلب علي النعاس ، كما في (تحفة الأحوذي).

(٨) أي: قال الله تعالى هذه المقولة ثلاثاً.

ثديي فتجلَّىٰ لي كلُّ شيءٍ وعرفتُ.

فقال: يا محمد.

قلت: لبيك رب.

قال: فيمَ يختصم الملأُ الأَعلى؟

قلت: في الكفارات.

قال: وما هنَّ؟

قلت: مشْيُ الأَقْدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإِسْباغ الوضوءِ في المكروهات.

قال: ثم فيمَ؟

قلت: إطعام الطعام، ولينُ الكلام، والصلاةُ بالليل والناس نِيام.

قال: سَلْ.

قلت: اللَّهم إني أَسأَلك فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكرات، وحبَّ المساكين، وأَن تغفرَ لي وترحمَني، وإذا أَردت فتنةً في قوم فتوفَّنِي غير مفتون، وأَسأَلكَ حُبَّك، وحُبَّ مَنْ يُحِبك، وحُبَّ عملٍ يُقربني إلى حبك».

فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنها حقٌّ فادرسُوها ثم تَعَلَّموها».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، سأَلت محمد بن إسماعيل ـ البخاري ـ عن هذا الحديث فقال: هذا صحيح. ا هـ.

وقد أخرج هذا الحديثَ الإمامُ أَحمد في (المسند)،

والدارمي ، والبغوي في (شرح السنة) ، والطبراني ، وأَخرجه عبد الرزاق ، ومحمد بن نصر في كتاب (قيام الليل) ، وابن جرير .

أما الإمام أَحمد : فرواه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وهذا لفظه قال : احتَبَسَ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ غداةٍ عن صلاة الصبح ، حتى كِدْنا نتراءَى قربَ الشمس ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريعاً ، فثوَّب بالصلاة ، فصلى وتجوَّز في صلاته ، فلما سَلَّم قال : «كما أَنتم على مصافِّكم» ثم أَقبل إلينا فقال : «إني سأُحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قمتُ من الليل فَصَلَّيْتُ ما قُدِّر لي ، فنعَسْت في صلاتي حتى استيقظت[1] ، فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة ـ أي : صفة ـ فقال : يا محمدُ أَتدرِي فيم يختصمُ الملأُ الأَعلى؟

قلت : لا أَدري ربِّ .

قال : يا محمد فيم يختصم الملأُ الأَعلى؟

قلت : لا أَدرِي ربِّ .

فرأَيته وضع كفَّه بين كتفيَّ حتى وجدتُ بردَ أَنامِلِه في صدري ، فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرفت .

فقال : يا محمد فيم يختصم الملأُ الأَعلى؟

قلت : في الكفارات .

قال : وما الكفارات؟

---

(١) هكذا يوجد في بعض نسخ (المسند) «حتى استيقظت» ولكن أكثر الروايات الواردة بلفظ : «حتى استثقلت» ، كما في الرواية قبلها .

قلت: نَقْلُ الأَقدام إلى الجُمُعات ، وجلوسٌ في المساجد بعد الصلاة ، وإِسباغُ الوضوءِ عند الكَرِيهات.

قال: وما الدرجات؟

قلت: إِطعامُ الطعام ، ولينُ الكلام ، والصلاة والناس نيام.

قال: سَلْ.

قلت: اللَّهم إني أَسأَلك فعلَ الخيرات ، وتركَ المنكرات ، وحُبَّ المساكين ، وأن تغفرَ لي وترحمني ، وإِذا أَردتَ فتنةً في قوم فتوفَّني غير مفتون ، وأسأَلك حبَّك وحبّ من يُحِبُّك ، وحبَّ عَمَلٍ يقرِّبني إلى حبك».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنها ـ أي: الكلمات ـ حقٌّ فادرسوها وتَعَلَّموها».

وروى الإمام أحمد في (مسنده) أَيضاً ، عن عبد الرحمن بن عايش ، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أَن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خَرَج عليهم ذاتَ غداةٍ وهو طَيِّبُ النفس ، مُسْفِرُ الوجه ـ أَو مُشْرق الوجه صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقلنا: يا رسول الله إنا نراك طيِّب النفس ومسفر الوجه ـ أو مشرق الوجه ـ أي: ما سبب ذلك؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «وما يمنعني وأتاني ربي عز وجل الليلةَ في أَحسنِ صورة قال: يا محمد.

قلت: لبيك ربي وسَعْديك.

قال: فيمَ يختصمُ الملأُ الأَعلى؟

قلت: لا أدري أيْ ربِّ».

قال ذلك مرتين أو ثلاثاً.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فوضع كفَّه بين كتفيَّ فوجدتُ بَرْدَها بين ثدييّ، حتى تجلَّىٰ لي مافي السموات ومافي الأَرض ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾.

ثم قال: يا محمد، فيم يختصم المَلأُ الأَعلى؟

قال: قلت في الكفارات.

قال: وما الكفارات؟

قلت: المشْيُ على الأَقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خِلافَ الصلوات ـ أي: خَلْف الصلوات ـ وإبلاغُ الوضوء في المكاره ـ أي: في شدة البرد ونحو ذلك ـ.

قال: ومَنْ فعل ذلك: عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدتْهُ أُمه.

ومن الدرجات: طِيبُ الكلام، وبذلُ السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.

قال: يا محمد إذا صليتَ فقل: اللهم إني أَسأَلك الطيِّبات، وترك المنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تتوب عليَّ، وإذا أردتَ فتنةً في الناس فتوفَّني غيرَ مفتون»[1].

---

(١) انظر: (مسند) أحمد.

ومعنى أسألك الطيبات: أي: أَسأَلك فعل الطيبات.

وأما رواية الإمام الدارمي فقد قال في (سننه): باب في رؤية الرب تعالى في النوم، ثم أَسند إلى عبد الرحمن بن عايش أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «رأَيت ربي في أَحسن صورة ـ أي: صفة ـ فقال: فيمَ يختصم الملأُ الأَعلى؟

فقلت: أَنت أَعلم يا رب».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فوضع كفَّه بين كتفيَّ فوجدتُ بردَها بين ثديـيَّ، فعلمت مافي السماوات والأرض وتلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾».

وأما رواية الحافظ البغوي: فقد روىٰ بإسناده المتصل، إلى عبد الرحمن بن عايش الحضرمي أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رأَيت ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأُ الأَعلى يا محمد.

فقلت: أنت أعلم أيْ ربِّ ـ مرتين ـ».

قال: «فوضع كفه بين كتفيَّ فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت مافي السماء والأرض».

قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾.

«ثم قال عز وجل: فيم يختصم الملأُ الأَعْلَى يا مُحمد؟

قلت: في الكفارات؟

قال: وما هنَّ؟

قلت: المشيُ على الأَقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خلفَ الصلوات، وإبلاغُ الوضوءِ أماكنَه في المكاره.

قال: ومن يفعلُ ذلك: يَعِشْ بخير ويَمُتْ بخير، ويخرجْ من خطيئته كيومَ ولدته أُمه.

ومن الدرجات: إطعام الطعام، وبذل السلام، وأن يقوم بالليل والناس نيام.

قال سبحانه: قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تغفرَ لي وترحمني وتتوب عليَّ، وإذا أَردتَ فتنة في قوم فتوفني غير مفتون».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلموهنّ فوالذي نفسي بيده إنهنَّ لحقٌّ»[1].

ثم روى بإسناده عن ثوبانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلاة الصبح فقال: «إنّ ربي أَتاني الليلة في أَحسنِ صورة فقال: يا محمد هل تدرِي فيم يختصم الملأُ الأَعلى؟

قلت: لا أَعلم يا رب.

فوضع كفه بين كتفيَّ حتى وجدتُ بردَ أَنامِلِه في صدري».

قال: «فتجلَّى لي ما بين السماء والأرض».

---

(١) قال الحافظ البغوي: هذا حديث حسن.

قال: «قلت: نعم يا رب، يختصمون في الكفارات والدرجات.

قال: وما هنَّ؟

قلت: فأمَا الدرجات: فإطعام الطعام، وبذلُ السلام، وقيام الليل والناس نيام.

وأما الكفارات: فَمَشْيٌ على الأَقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوءِ في الكراهيات، وجلوس في المساجد خلف الصلوات.

ثم قال لي: يا محمد قلْ تُسْمَعْ، وسلْ تُعْطَ».

قال: «قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أَردتَ فتنة في قوم فتوفني إليك وأنا غيرُ مفتون، اللهم إنِّي أَسأَلُكَ حُبَّك، وحُبّ من يُحِبُّك، وحُبّاً يُبَلِّغُني حُبّك»[1].

وأخَرج الطبراني في (السنة) وابن مَرْدُوْيَهْ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رأيت ربِّي في أحسن صورة، قال: يا محمد.

فقلت: لبيك وسعديك ـ ثلاث مرات ـ.

قال: هل تدري فيم يختصم الملأُ الأَعلى؟

قلت: لا. فوضع يده بين كتفيَّ، فوجدت بردها بين ثديَيَّ، ففهمت الذي سأَلني عنه، فقلت: نعم يا رب يختصمون في الدرجات والكفارات.

---

(١) انظر (شرح السنة) للبغوي.

قلت: الكفارات: إسباغ الوضوءِ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

والدرجات: إطعام الطعام، وإفشاءُ السلام، والصلاة بالليل والناس نيام».

وأَخرج الطبراني أيضاً في (السنة) والشيرازي في (الأَلقاب) وابن مَرْدُوْيَهْ، عن أَنس رضي الله عنه قال: أَصبحنا يوماً، فأَتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأَخْبَرَنَا فقال: «أَتاني ربي البارحةَ في منامي في أَحسن صورة، فوضع يده بين ثدييَّ وبين كتفيَّ، فوجدت بردها بين ثديي، فعلَّمني كلَّ شيءٍ، وقال: يا محمد.

قلت: لبيك رب وسعديك.

قال: هل تدري فيم يختصم الملأُ الأَعلى؟

قلت: نعم يا ربِّ في الكفارات والدرجات»[1] الحديث.

وأَخرج الحافظ محمد بن نصر المَرْوَزِيُّ في كتاب (قيام الليل وقيام رمضان) بإِسناده المتصل إلى عبد الرحمن بن عايش الحضرمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «رأَيت ربي في أَحسن صورة فقال: فيم يختصم الملأُ الأَعلى يا محمد؟

قلت: أَنت أَعلم يا رب».

فوضع كفه بين كتفيه فوجد بردها بين ثدييه[2].

---

(١) انظر (الدر المنثور).

(٢) هذه الجملة بهذا اللفظ من تعبير الراوي عما وقع له صلى الله عليه وآله وسلم ـ والله أعلم.

قال: «فعَلِمت مافي السماءِ والأَرض».

قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾.

«ثم قال: فيمَ يختصم الملأُ الأَعلى يا محمد؟

قلت: في الكفارات والدرجات.

قال: وما هنَّ؟

قلت: المشي إلى الجماعات، والجلوس في المساجد لانتظار الصلوات، وإسباغ الوضوءِ على المكاره.

فقال الله عز وجل: مَنْ يفعلُ ذلك يعيشُ بخير، ويموتُ بخير، ويكونُ من خطيئته كيومَ ولدته أُمه.

قال: ومِنَ الدرجات: إطعام الطعام، وطيب الكلام، وأن تقوم بالليل والناس نيام.

قال: قل: اللهم إني أَسأَلك الطيباتِ[1] وترك المنكرات، وحبَّ المساكين، وأَن تتوبَ عليّ وتغفر لي وترحَمَني، وإذا أَردتَ فتنة في قوم فتوفَّني غيرَ مفتون».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تَعَلَّموهنّ فوالذي نفسي بيده إنهنَّ لحقٌّ».

قال: وفي الباب عن ثوبان وابن عباس ومعاذ بن جبل وأبي أُمامة رضي الله عنهم اهـ[2].

---

(١) أي: أسألك فعل الطيبات.

(٢) انظر مختصر العلامة المقريزي لكتاب (قيام الليل).

ومن هذه الأَحاديث النبوية التي ذكرناها بأَسانيدها ورواياتها ، يتضح للمؤمن قوةُ اهتمام الملإِ الأَعلى بالأَعمال الصالحة والأَقوال الطيبة التي تُرفع ثَمة ، وأَنها مصنَّفة هناك إلى كفارات ودرجات ، ومن تلك الكفارات والدرجات الكثيرة الشهيرة ما ذُكر في الأَحاديث السالفة ، وهناك تُوضع المكافآت والمقابلات لتلك الأَعمال والأَقوال الطيبة ، فلْينهضِ المؤمنُ بهمته إلى الإِكثار من الأَعمال الصالحة والأَقوال الطيبة ، ولْيغتنمْ فرصة حياته وفراغ عمره قبل أن تُطْوَى الآجال وتنقضي الأَعمار ، فيرحلَ عن هذه الدار.

وفقنا الله تعالى لصلاح العمل ، وحفظنا من طول الأَمل ، ومن الوقوع في الزلل ـ آمين.

ومن هذه الأَحاديث المتقدمة يَعلم المسلم خصائص الأَعمال الصالحة ، وأَنَّ منها كفارات ، ومنها درجات ، وقد يكون منها درجات وكفارات ، أي: لها اعتباران مختلفان.

جاء في (صحيح) مسلم ، عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلواتُ الخمس ، والجمعةُ إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان: مكفِّراتٌ لما بينهنَّ ما اجتُنِبَتِ الكبائر».

فباعتبار أَنَّ في ذلك حبسَ النفْس على المواظبة على الفرائض والصبر على ذلك ، وكفّ النفس عما تميل إليه من الهوى ، وما تلقاه من المشقة والتعب ، فذلك مما يَجْعَلُها من الكفارات.

وفي الحديث الذي رواه الشيخان ، عن أَبي هريرة رضي الله

عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أَرأَيتمْ لو أَن نَهَراً بِبابِ أَحَدِكم يغتسلُ منه كلَّ يوم خمسَ مرات، هل يَبقى من دَرَنه شيءٌ».

قالوا: لا يبقى من درنه شيءٌ.

قال: «فكذلك مَثَلُ الصلواتِ الخمسِ يمحو الله بهنَّ الخطايا».

ولكن باعتبار أنَّ في الصلاة والصيام قربةً إلى الله تعالى، وعبادةً وعبودية، وفي الصلاة مناجاةٌ وتسبيحٌ وتحميد وسجود، فإن ذلك مما يرفعُ درجاتِ العبد عند ربه، ويجعله في مقام القرب والحب، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه عز وجل وهو ساجد، فأَكْثِروا الدعاءَ»[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن ركع ركعةً أو سجد سجدة رفع الله له بها درجة، وحطَّ عنه خطيئة»[2].

ولما كان إِسباغ الوضوءِ في شدة البرد، أَو في حالة يَصْعُبُ على النفس، وتَلقىٰ فيها شدةً وتعباً، كان هذا الإِسباغُ وتحمُّلُ الشدة من الكفارات، وباعتبار أَن أصل الوضوءِ عبادة مقدمة بين يدي الصلاة، فإن فيه رفعةَ الدرجات.

وكذلك المشي إلى الجماعات للعبادة هو قربة وطاعة ويثاب عليه، ولكنْ باعتبار ما يحصلُ فيه للنفس من المشقة والمتاعب والنَّصَب؛ فهو كفارة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه.

وكذلك حبس النفس في المسجد لانتظار الصلاة ، ومنعها عن مألوفاتها من الخروج إلى مواضع تهواها ؛ فهو كفارة.

ولما كانت متاعبُ النفس ومكابدتُها وصبرُها في هذه الثلاثة المتقدمة باديةً قويةً ، أَخذتْ لقب الكفارات ، والثلاثة الباقية ـ وهي: إطعام الطعام ، وإفشاءُ السلام ، والصلاة في الليل والناس نيام ـ أَخذت رتبة الدرجات ، مع أَن لها اعتباراً في الكفارات ، ولكن الأَلقاب تتبع الحكم الغالب؛ كما بينَّ ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي وغيره ، والله تعالى أَعلم بجميع ما هناك.

وقد دلت هذه الأَحاديث على اهتمام الملإِ الأَعلى اهتماماً كبيراً بهذه الاعتبارات ، بدليل اختصام الملإِ الأَعلى وتقاولِهم فيها ، وهذا دليل على اختلاف مراتب الأَعمال في تكفير السيئات ورفعة الدرجات ، والله تعالى بها أَعلم ، وله الحُكْم فيها ، ولا معقِّب لحكمه سبحانه.

وهكذا فالأَعمال تُرفع إلى الملإِ الأَعلى ، وهي ما بين كفارات ودرجات ، أو كفارات ودرجات معاً ، وهناك يجري التقاول بين الملإِ الأَعلىٰ في شأْن تلك الأَعمال والأَقوال على اختلاف أَنواعها ، فيتباحثون في الدرجات ومقتضياتها ومخوِّلاتها ، وأَيُّها أَحبُّ إلى الله تعالى ، وأَيُّها أَعظمُ درجةً وأكثرُ ثواباً ، ويتباحثون في الكفارات ومقدار ما تكفِّره من الذنوب والخطايا ، ومقدار ما تَقِي من العقوبات ، فيجري بينهم التقاول ، وربما اختلفوا في ذلك ، فَيُرْجِعُون الأَمر إلى رب العزة تبارك وتعالى ، وهو أَحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ، فيحكم حكمه في ذلك ، ولا معقِّب لحكمه جل وعزَّ.

الحكمة السابعة في رفع الأعمال:

هي أن تُقابل بمكافآتها، وتظهرَ آثارها من حيث الأَجر والجزاءُ، وتأخذَ مواقعها في دار المقامة، **فهناك منها ما يقابل بالغِراس للأشجار الكثيرة والكبيرة تجري من تحتها الأنهار:**

كما جاءَ في الحديث الذي رواه الترمذي، عن أَنس رضي الله عنه، أَن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لقيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي إبراهيمَ عليه السلام فقال لي: يا محمد أَقْرِئْ أُمتك مني السلام وبشِّرهم أن الْجنة طيِّبة التُّرْبة، عذبة الماءِ، وأنَها قِيعانٌ، وأَن غِراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلَه إلا الله، والله أَكبر».

فَمَنْ قال: «سبحان الله» فقد غَرَس في الْجنة غرسةً، ومن قال: «الحمد لله» فله ذلك، وهكذا. فأرض الجنة واسعة كلَّ السَّعَة، وتُربتها طيبة، وماؤها عذب، فأَكثِرْ من الغرس فيها، فإن الغِراس معك.

وهناك ما يقابل ببناءِ البيوت أو القصور العالية في جنة عالية:

فعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن صلَّى الضحى ركعتين لم يُكتب من الغافلين، ومن صلَّى أَربعاً كُتب من العابدين، ومن صلَّى ستاً كُفي ذلك اليوم، ومن صلى ثمانية كتبه الله تعالى من القانتين، ومن صلَّى ثنتيْ عَشْرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة، وما من يوم ولا ليلة إلا لله مَنٌّ يَمُنُّ به على عباده وصدقة، وما مَنَّ الله على أحد

من عباده أفضلَ من أَن يُلهمَه ذِكْره»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من صام الأَربعاءَ والخميس والجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة؛ يُرى ظاهرهُ من باطنه ، وباطنه من ظاهره»[2].

وروى ابن ماجه ، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من صلَّى بين المغرب والعشاءِ عشرين ركعةً بنى الله له بيتاً في الجنة».

وروى الإمام أحمد ، عن معاذ بن أَنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشرَ مراتٍ بنى الله له بيتاً في الجنة».

وروى الطبراني ، عن أَبِي أُمامة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ ﴿حمٓ﴾ الدُّخَان في ليلةِ جمعةٍ أو يوم جمعة بنى الله له بيتاً في الجنة».

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده ، غُرِست له نخلةٌ في الجنة»[3].

---

(١) رواه الطبراني في (الكبير) برواية الثقات ، وقال الحافظ المنذري: ورواه البزار.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني في (الأوسط) ، ورواه في (الكبير) عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه.

(٣) قال المنذري: رواه الترمذي وحسنه ـ واللفظ له ـ ورواه النسائي بلفظ: «غُرِسَت له شجرة في الجنة» ورواه ابن حبان في (صحيحه).

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال سبحان الله وبحمده ، غُرِسَت له نخلة في الجنة» رواه البزار بإسناد جيد.

وروى الطبراني ، وابن أَبي الدنيا ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَكْثِرُوا من غِراس الجنة؛ فإنّه عذبٌ ماؤها، طَيِّبٌ ترابها، فأكثروا من غراسها».

قالوا: يا رسول الله وما غِراسُها؟

قال: «ما شاءَ الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله» كما في (ترغيب) المنذري.

وروى ابن ماجه ، عن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن أخرج أَذىً من المسجد بنى الله له بيتاً في الجنة».

وهذا دليل على أَنَّ تنظيف بيوت الله تعالى أَجره كبير عند الله تعالى.

قال الحافظ المنذري: وفي إسناده احتمال للتحسين. اهـ.

الحكمة الثامنة في رفع الأعمال الصالحة إلى الله تعالى:

إن في رفعها إعلامَ الله تعالى وإعلانَه للملإِ الأَعلى بإخلاص ذلك الصالح الذي رُفع عمله الصالح ، فإنه لا تُفتح أَبواب السماءِ ، ولا يُرفع إلى الله تعالى من الأَعمال إلا ما كان خالصاً له ، وأما العمل الذي ليس بخالص: يردُّ دون أَبواب السماءِ ولا يرفع.

جاءَ في الحديث الذي رواه ابن المبارك ، عن ضَمْرَةَ بن حبيب

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الملائكة يَرفعون أَعمال العبد من عباد الله يستكثرونه ويزكُّونه، حتى يبلغوا به حيث يشاءُ الله من سلطانه ـ أي: عند أبواب السماء الدنيا، كما دلت عليه بقية الأحاديث ـ فيوحي الله إليهم: إنكم حفَظةٌ على عبدي؛ وأنا رقيبٌ على مافي نفسه، هذا لم يُخْلِصْ لي عملَه، فاجعلوه ـ أي: عمله ـ في سِجِّين.

ويَصعدون بعمل العبد يستقلُّونه حتى يبلغوا به إلى حيثُ شاءَ الله من سلطانه، فيوحي الله تعالى إليهم: إنكم حَفظةٌ على عمل عبدي؛ وأنا رقيب على مافي نفسه، إنّ عبدي هذا أَخلص لي عمله، فاجعلوه في عليين».

ولذلك جاء في الحديث الذي رواه الحاكم وصحح إسناده، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له حين بعثه إلى اليمن: «يا معاذ أَخلِصْ دينَك يَكْفِكَ العمل القليل».

يعني: أن قليلاً من العمل الخالص، خير من أَعمال كثيرة لا إخلاص فيها، وإذا وُجِدَتْ كثرة العمل مع الإخلاص فَبِهَا ونِعْمَتْ، ففي رفع العمل إلى الله تعالى شهادة بإخلاص العامل وصلاحه.

وأما العمل الذي عَمِلَهُ صاحبه رياءً فلا يُرفع إلى الله تعالى:

روى الطبراني، عن أَنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان آخر الزمان صارت أُمتي ثلاثَ فِرَقٍ، فرقة يعبدون الله تعالى خالصاً، وفرقة يعبدون الله تعالى

رياءً ، وفرقة يعبدون الله تعالى لِيَسْتأْكلوا به الناس ، فَإِذا جمعهم الله تعالى يوم القيامة ، قال للذي يستأْكل الناس: بعزتي وجلالي ما أَردْتَ بعبادتي.

فيقول: وعزتك وجلالك أَستأْكلُ به الناس.

قال: لم ينفعْك ما جمعتَ ، انطلقوا به إلى النار.

ثم يقول للذي كان يعبده رياءً: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟

قال: بعزتك وجلالك أَردت رياءَ الناس.

قال: لم يصْعد إليَّ منه شيءٌ ، انطلقوا به إلى النار.

ثم يقول للذي كان يعبده خالصاً: بعزتي وجلالي ما أَردت بعبادتي؟

قال: بعزتك وجلالك أنت أَعلم بذلك مَنْ أَردتُ به ، أَردتُ به ذكرك ووجهك.

قال: صدق عبدي انطلقوا به إلى الجنة»[1].

ومن هذه الوجوه التي ذكرناها يعلم المسلم علم اليقين فضل الأَعمال الصالحة والكلم الطيب ، وكرامتها عند الله تعالى ، وعلوَّ شرف منزلتها ومكانتها ، وأَن مقرها اللائق بها هو ذلك العالَمُ

---

(١) قال المنذري: رواه الطبراني في (الأوسط) من رواية عبيد بن إسحاق العطار ، وبقية رواته ثقات ، ورواه البيهقي عن مولى أنس رضي الله عنه ولم يسمه ، قال: قال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: فذكره باختصار. اهـ.

العلويُّ القدسي ، ومن البديهي أن تكريم إنتاج المُنْتِج هو تكريم للمُنْتِج ، وتكريم عمل العامل هو تكريم للعامل.

فهذا التكريم الإلٰهي ، والتشريف الرباني ، لأعمال الصالحين وأَقوال الطيبين لاشك أنَّ فيه تكريماً وتشريفاً لهم ، ورفعة لشأْنهم ، وعلوَّ منزلتهم وعظيم كرامتهم على الله تعالى ، وفي هذا إعلانُ كرامةِ المؤمنين عند الله تعالى ، وإعلانُ عزتهم ومجدهم في الملإِ الأَعلى والأَدنى ، وأيُّ كرامة أكرمُ من هذه الكرامة ، وأيُّ عزة أَعز من هذه العزة؟!

إذن الحقُّ والحقيقة فيما قاله سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ الآية.

فعلى العاقل أن يطلب العزة مِمَّن له العزة جميعاً ، وسبيل ذلك هو الكلم الطيب والعمل الصالح ، اللهمّ وفقنا لذلك إنك سميع الدعاء.

* * *